حول معجم ادباء الاطباء

بقلم الاستاذ عبد الحميد الدجيلي

تفضل الاستاذ الفاضل والطبيب الاديب الشيخ محمد الخليلي فاهدى الي كتابه معجم ادباء الاطباء وايم الله لقد سرتني هذه الهدية التي ذكرتني بتلك الايام التي مضى عليها اكثر من خمس وعشرين سنة : تلك الايام اللذيذه ايام الصبا حينما كنا نجتمع في دار هذا الصديق الفاضل وكنا ونحن نقاربه في السن نحترمه لغزارة علمه وادبه وكان بيته ناديا من نوادي الادب والعلم فهذا يتذاكر بعلم النحو وذاك يحل مسألة حسابية على يد الصديق وآخر يدرس مبادي الهندسه ورابع يناقش في مسائل فلكية وهو في كل ذلك وعلى صغر سنه رحب الجناب واسع الصدر قليل الكلام الا فيما يفيد محبوب الى قرنائه محترم بمن يتصل به ومن يتعرف باخلاقه واين تلك الاوقات التي كنا نقضيها فارغي البال قليلي الهموم طاهي الامل . ولقد ذكرني الاستاذ بهديته التي التي افتتحها على غلاف الورقه الاولى بهذين البيتين

الى حميد السجايا اهدى الكتاب فخورا
رمزاً لسالف ودى ولا اراه كثيرا

فاثار في الشجن وطوح بي الى ذكريات كنت اتمنى ان انساها لانها اصبحت عندي كطيف الخيال ازاء ماعانينا من هذه الحياة واوضاعها الشاذة التي تدفع اليك السؤال تلو السؤال : ماذا استفدنا من هذه الطفرة ومن هذا التطور . نعم استفدنا الجبن والخور والاضطراب والمداجات والتخاذل وتفسخ الوشائج الافيما يعود الى العواطف الخاصة والنفع الذاتي :

تصفحت الكتاب الذي هو اول باكورة في التأليف لهذا الفاضل فرأيته كتابا نافعاً يمثل نفسية المؤلف احسن تمثيل فالمؤلف طبيب ماهر على نهج ابائه القدما . ومع ذلك اديب ماهر ظريف وشاعر مبدع ومترجم قصصي فنان فالكتاب اذن عنوان وخير عنوان للمؤلف ولا نطلب بعد ذلك من الجامع بين الطب والادب شيئاً أكثر من هذا فالمؤلف بنفسه وسلوكه هو الجواب الشافي وقد برهن في سلوكه ان الادب والطب يجتمعان ولا يتعارضان . والكتاب فوق هذا وذاك يفتح لك بابا جميلا من ابواب التراجم قد تكون غافلا عن بعض شعابها . وقد درج المؤلف اسماء كثير من مشايخ الطب لم تكد تعرف عنهم النثر والشعر ودرج لك أسماء كثير من شيوخ الادب لم تكد تعرف عنهم الطب لولا ارشاد المؤلف . وما كان على المؤلف الا ان يزيد في الصور الادبية والاستشهادات الترسلية او التآليف الطبية ليقوى رأيه وتتناسق نظريته كما كان عليه ان يراجع الكتب التي نقل عنها بالواسطة واغلبها متداول مطبوع لتقوى حجته وتثبت اراؤه ويكون الضبط اصح ولو كان الاستاذ اتعب نفسه وتفرغ للعمل لما وقع فيما وقع فيه من الهنات وقد اعتمد كثيراً على نقول صاحب معجم الاطباء وهو غير متقن للضبط ولا منقب من الحقائق التاريخية والانكي من ان مؤلفنا اشتبه حتى في النقل عن هذا المؤلف وايضا هو غير مطمون على ذوقه ولكنه تساهل فاتى بكثير من استشهاداته بالشعر الركيك والمملهل جداً كما فعل في ترجمة احمد بن سراج الدين الذي يقول

ما للناس الاحباب والدهر لجة ماء
فعالم في طغو وعالم في انطفاء

والاعجب من هذا ان يعتبر المؤلف كل لفظ جاء في ترجمة شخص يشعر بانه قرأ الادب او شدى منه شيئا او درس منه لمامة او تأدب مثلا وما الى ذلك من الالفاظ هو حيالمده اديبا ومستحقاً للترجمة مع العلم ان الفرق واضح بين الاديب الذي يستحق العناية والدراسة وبين من قرأ الادب او شيئاً منه والاجاز لنا اليوم ان نعد جميع الدكاترة المتخرجين حديثاً ادباء لانهم قرأوا شيئاً من الادب في المتوسطات والثانويات . وبعد هذه المقدمة نذكر لك بعض الملاحظات التي لاحظتها على الكتاب راجياً ان يتداركها المؤلف في الطبعة الثانية ولا اكتم القاري من اني لم اقرأ كل هذا الجزء الاول وانما قرأت شيئاً من اوله ثم تركت الوسط آخذاً بقراءة آخره وانا قبل أن أرى هذه الملاحظات لا يفوتني ان اذكر ان في الكتاب تراجم لاطباء متأخرين عاشوا في النجف والحلة وغيرها من مدن العراق تعب على هذه التراجم المؤلف واجهد نفسه في تدوينها لانها تراجم يعسر العثور عليها وهي جديدة وعزيزة حتى رفعت هذا المؤلف فجعلته في عداد هذه الكتب النافعة المفيدة .

(١) نقل المؤلف في ترجمة ابراهيم الحكيم قول الاب شيخو (اما ادبه فان اثار قلمه تدل على رقيه . فتجد نظمه ونثره في الطبقة الراقية . .)وقد راجعت شعراء النصرانية فرأيت العبارة كما يلي (. . . فتجد نظمه ونثره في طبقة راقية وان تسامح في نظمه ببعض الجوازات الشعرية . .) وعبارة (طبقة راقية) مقصودة للاب اذ ان شعر هذا الشاعر المسيحي ضعيف للغاية فاراد ان يتملص فيأتي بعبارة مبهمه ولكن مؤلفنا غيرها وحذف اخرها فجاء الكلام يدل على ان الشاعر من الطبقات الراقية في الشعر وهو ليس منها بشيء .

(٢) نقل المؤلف ترجمة ابراهيم بن محمد الادريسي المتوفى سنة (١١٨٧) هـ عن معجم الادباء مع العلم بان صاحب المعجم لم يكن حينذاك والظاهر انه اراد صاحب معجم الاطباء فوقع اشتباه في الطبع كما اشتبه كثيراً في مثل هذا النقول .

(٣) نقل في . (ص ١٩) ترجمة ابي جعفر الحرائي الصيدلاني عن معجم الاطباء عن تتمة صوان الحكمة وبعد مراجعتي للنسخة التي عندي لم اجد هذه الترجمة ثم راجعت معجم الاطباء فرأيته ينقلها عن تمام تتمة صوان الحكمة وهي رسالة اخرى .

(٤) يمشي صاحب معجم الاطباء على النسق الحرفي في الترتيب ومؤلفنا ينقل عنه حرفياً ولكن العجيب انه يخالف احياناً هذا التناسق الحرفي كما فعل في (ص ٢٤) فقدم ترجمة ابي عبد الله الجيلي على ابي القاسم مع ان الترجمتين كلتيهما منقولتان حرفياً عن معجم الاطباء . ولااعلل ذلك الا باستعجال المؤلف مع العلم بان المنقول عنه هو صاحب تكملة الصلة وهي مطبوعة فلماذا لم يراجعها الاستاذ الخليلي للتوسع والتثبت في الترجمة

(٥) يعدل المؤلف جملة من الكلمات التي ترد في الشعر مع ان هذا لايوافق الامانة العلمية وفي (ص ٢٥) في ترجمة ابي علي النيسابوري حرّف كلمة وزادفيها اخرى ثم تردد في فهمها فضبطها بشكل اخر والحال ان الكلمة واضحة ولكنها ركيكة شأن شعر اكثر الاطباء المتأدبين .

(٦) من الغريب ان المؤلف نقل ترجمة ابي عبد الله المعصومي عن محبوب القلوب للاهيجي المطبوع منه فصل في الهند وعن البيهقي ثم اعتب الترجمة بقوله (ولولا عكوفه وانهماكه في العلوم لاصبح من فحول الشعراء) ولم يذكر البيهقي ولاغيره انه شاعر ومجرد ورود بيتين من الشعر عنه لايجوز لنا ان ندرجه في الادباء فضلا عن هذه المبالغة الغريبة وقد وقع المؤلف في امثال هذه الاحكام بكثرة لاتحمد في بحث التراجم كما فعل في ترجمة ابي عبدالله بن يزيد الذي لم يرد عنه شعر ونثر وانما قيل عنه أنه اديب شاعر ومجرد القيل مع عدم الدليل لايفسح له مجالا بين تراجم الاطباء الادباء وهكذا قل في ذكر احمد بن اسماعيل (ص ٣٣) لمجرد ماقيل عنه [تعاني الاشتغال في الطب والادب] ولاسيما وقد قالوا ان احمد بن اسماعيل هذا يدعي دعاوي عريضة وكذلك قل عن احمد بن شعيب الفارسي لمجرد مانقل في ترجمته [برع في اللسان والادب] ولم ينقل عنه شيء من الادب نثراً اوشعراً وكل ماعمل مؤلفنا ان زاد على ترجمته المنقولة عن معجم الاطباء [لم نعثر له على شعر] والقاريء قد يظن انها من كلام صاحب معجم الاطباء ولكنها ليست له ومؤلفنا طالما يضيف مثل هذه الاضافات من دون ان ينبه القاريء على انها منه لامن الكتاب المنقولة عنه الترجمة .

[٧] عد المؤلف ابن شهيد الاديب الاندلسي ضمن الاطباء لورود هذه الكلمة في ترجمته [كان له من علم الطب نصيب وبخر] ومن الواضح ان هذه الكلمة واضرابها لا تعني انه طبيب وانما شدا شيئاً من الطب على عادة القدماء في القراءه والمطالعه لكثير من الفنون وهكذا لا نرى موجباً لترجمة عبد الرحمن بن الجوزي لمجرد اطلاعه على الطب واذا وقع صاحب معجم الاطباء في مثل هذا الاشتباهات فلا ينبغي للاستاذ ان يتابعه على ذلك .

[٨] قال في ترجمة احمد بن علي الملياني [اخذ بحظ من الطب عظيم] ناقلا هذه العبارة عن معجم الاطباء ولكن المعجم خال من كلمة عظيم فلماذا اضافها الاستاذ الخليلي مع العلم بانه اخذ بحظ من الطب لايدل على انه طبيب فضلا عن العظمة .

[٩] قال في (ص ٦٥) احمد بن محمد بن مسكويه وفي هذه الكلمة غلطتان الاولى زيادة الف بين علين والثانية اضافة ابن على مسكويه والمضبوط بشهادة ياقوت في المعجم وغيره انه احمد بن محمد مسكويه والاعجب انه نقل في [ص ٦٦] كلمة

يوم المظالم في تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني

كان يوم المظالم في تاريخ العرب والاسلام من اروع الايام واعمها في نفوس المعتدين والمظلومين والخلفاء والملوك والامراء والحكام والقضاة، فقد كان لهذا اليوم مشهده الرائع وموقفه الرهيب اذ فيه يقتص المظلوم من الظالم وينتقم الحاكم العادل من المعتدين للمظلوم وقد اوجد هذا اليوم ملوك الازمنة القديمة منذ فجر التاريخ حتى العصور المتأخرة. اما في عهد تاريخ العرب والاسلام فقد اكتسب صبغته اللائقة به وطبقت فيه احكام القرآن ونظم الشرع التي اوجدها الدين الاسلامي الحنيف. وديوان المظالم من اشهر الدواوين التي يقام فيها العدل والانصاف. وقد افرد المرحوم جرجي زيدان فصلا رائعاً عن ديوان المظالم في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي قال :- «هو من توابع القضاء ويشبه ما نسميه اليوم مجلس الاستئناف والغرض فيه استماع ظلامات الناس من القضاة اوغيرهم. وكان العرب في جاهليتهم يلتفتون الى هذا الامر فيتحالفون على رد المظالم كما فعلت قريش قبيل الاسلام وذلك انهم لما تعدد فيهم الزعماء وكثر التغالب والتجاذب اجتمعت بطونهم وعقدوا حلفا على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وهو حلف الفضول المشهور الذي عقد في مكة والرسول (ص) ابن خمس وعشرين سنة وهو ان لا يظلم احد في مكة الا انصفوه واخذوا له حقه. ولم يجلس للمظالم احد من الخلفاء الاربعة لان الناس في الصدر الاول كانوا بين من يقوده التناصف الى الحق او يزجره الوعظ عن الظلم الاعلياً [ع] فانه احتاج الى النظر في المظالم. ولم تكن في الحقيقة كما صارت اليه بعد ثذ على انه لم يفرد لسماع الظلامات يوما معيناً او ساعة معينة وانما كان اذا جاءه متظلم انصفه. ثم افردوا يوما خاصا للنظر في اقوال المتظلمين وتصفح قصصهم واول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان لكنه كان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيه الى حكم رده الى قاضيه ابن ادريس الازدي. فكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآمر واول من ندب نفسه لمباشرة المظالم عمر بن عبد العزيز الشهير. ثم اهملت بعده الى ايام الدولة العباسية فجلس

عن البيهقي في ترجمة احمد مسكويه فلما راجعتها في ترجمة بن الجاثليق رأيتها متغيرة جداً فراجعها في البيهقي طبعة الشام [ص ٤٤].

[١٠] قال في ترجمة احمد بن يوسف [ص ٦٩] [وكانت له قدرة على المشجرات فيما ينظمه] ناقلا هذه العبارة عن الدرر الكامنة والموجود فيها [على المسخرات] اي القصائد التي تستعمل للهزء والسخرية واين هذا من ذاك.

(١١) نقل في (ص ٧٣) جملا عن تتمة صوان الحكمة ومنها (قليل الراح صديق الروح وكثيرها عدو الجسم) ولم توجد هذه الجملة في هذا الكتاب بترجمة اسحق بن حنين ولا ادري من اين جاء بها كما لا نتفق مع المؤلف في عد اسحاق هذا عربيا صميماً ولا اعرف دليل المؤلف في هذا الجزم الذي نص على خلافه.

(١٢) قال في (ص ٢٣٥) ناقلاً عن معجم الاطباء عبيد الله بن علنده الاموي وما في المعجم عن التكملة عبيدالله بن علنده الاموي مولاهم فاسقط الاستاذ الخليلي كلمة مولاهم فاصبح عربياً اموياً وهو غير عربي من اهالي سرقسطة الاندلسية والغريب ايضاً انه قال في ترجمة (ص ٢٣٦) بلغ سبعاً وسبعين ولكن في المعجم والتكملة انه بلغ سبعاً وتسعين لا سبعين كما اشتبه المؤلف.

(١٣) نرى في (ص ٢٤٠) كلمة الدحوار في ترجمة هذا الاديب وفي آخرها يقول ابن الدحوار وكان الاحرى الجزم بالكلمة وهل هي لقب له او لاحد آبائه.

(١٤) قال في (ص ٢٤٦) في ترجمة الباجي (ولم يذكر له ابن ابي اصيبعة شعراً ولا ولادة ولا وفاة) وعليه نقول للاستاذ الخليلي اذا كان كذلك فلماذا اهتممت بترجمته مع انه لا اثر له في الشعر والنثر واى فائدة لترجمة امثال هذا الذي كثر في كتاب الاستاذ.

هذا قليل من كثير مما في الكتاب من الهفوات نتمنى تداركها فيما يأتي في الجزء الآخر والله ولي التوفيق.

بغداد — عبد الحميد الرشيدي